الماء هو الحياة

الشيخ/ندا أبو أحمد

الماء هو الحياة

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

الماء هو الحياة

والماء له أهمية عظيمة لأنه حيثما وجد الماء وجدت الحياة.

صور من رحمة اللّه بنا بالنسبة للماء:

فضل سقيا الماء:

١- مُلْك الدنيا كله لا يساوي شربة ماء.

٢- الماء من أفضل الصدقات.

٣- من سقى مسلمًا على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيقِ المختوم.

٤- حتى سُقيا البهائم فيها أجر.

٥- الماء أصل كل خير.

٦- سُقيا الماء من الصدقة الجارية التي تلحق العبد بعد موته.

٧- سُقيا الماء سبيل لدخول الجنة.

٨- الماء من أول النعم التي سنسأل عنها يوم القيامة.

الترهيب ممن منع الماء عن المحتاجين:

وأخيراً فلنحافظ على هذه النعمة:

فالماء كما مر بنا نعمة من نعم الله علينا، فلنحافظ عليها وذلك عن طريق.

١- عدم تلويث مصادر المياه.

٢- عدم الإسراف في الماء.

٣- وهناك أمر آخر قَلَّ من يتنبه له، وهو من أعظم الأسباب للمحافظة على الماء والزيادة منه وهو: طاعة الله عز وجل والبعد عن معصيته.

- وكثرة الاستغفار سبب لإدرار المطر وكثرة المياه.

والمعاصِي والذنوبُ وارتكابُ المحرماتِ سبب في حجبِ النعمِ والبركاتِ عامةً، وفي نعمةِ الماءِ خاصةً. فالمعاصي سبب لعدم نزول المطر من السماء:

الماء هو الحياة

من أعظم النعم التي امتن الله بها على عباده: نعمة الماء، فالماء هو أصل الحياة، وسر وجودها، وبدونه تتعطل حركة الحياة، ولذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل ٧٠% من مساحة الكرة الأرضية مغطاة بالمياه من أجل حفظ توازن الأرض وضمان الحياة عليها لكل كائن حي.

١- **قال تعالى:** ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: ٣٠)

يقول الإمام القرطبي-رحمه الله- في تفسيره: ١١/٢٨٤: " وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ لها ثلاث تأويلات: **إحداها:** أنه خلق كل شيء من الماء. **ثانيها:** حفظ حياة كل شيء بالماء. **ثالثها:** وجعلنا من ماء الصلب[١] كل شيء حي.

٢- **وقال تعالى:** ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ (النور: ٤٥)

قال الإمام الرازي-رحمه الله-:" فإن قيل لماذا نُكِّرَ الماء هنا وجاء معرفًا في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ **والجواب:** إنما جاء هنا منكرًا لأن المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء يختص بتلك الدابة، وإنما جاء معرفًا في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيَ﴾ لأن المقصود هناك كونهم مخلوقين من هذا الجنس- وهو الماء- وهاهنا بيان أن ذلك الجنس ينقسم إلى أنواع كثيرة ".

(التفسير الوسيط لمحمد السيد طنطاوي شيخ الأزهر سابقًا: ١/٩٢)

٣- **وقال تعالى:** ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (النحل: ٦٥)

٤- **وقال تعالى:** ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٩٩)

٥- **وقال تعالى:** ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً[٢] فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ[٣] وَرَبَتْ[٤] وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج:٥)

٦- **وقال تعالى:** ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا[٥] (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا[٦] وَمَرْعَاهَا[٧]﴾ (النازعات: ٣٠،٣١)

١- الصلب هو الظهر والمقصود الماء الذي يخرج من صلب الرجل. (لسان العرب لابن منظور: ١/٥٢٧).
٢- هامدة: ساكنة مجدبة.
٣- اهتزت: تحركت بالنبات تتفتح عنه.
٤- وربت: وزادت ونمت.
٥- دَحَاهَا: أي بسطها وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو، ثم بسطها أودع فيها منافعها.
٦- أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا: أي فجر منها العيون، والينابيع، والأنهار.
٧- وَمَرْعَاهَا: أي وأنبت فيها النبات؛ سواء كان قوتًا لبني آدم، كالحب والثمر، أم قوتًا للأنعام والماشية؛ كالعشب والحشيش.

أحبتي في الله... لأهمية هذا الموضوع لنا وقفة مع قول النبي ﷺ:" إنَّ أولَ ما خلق اللهُ القلمُ، فقال لهُ: اكتبْ، قال: ربِّ وماذا أكتبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كلِّ شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ ".

(رواه أبو داود والترمذي من حديث عبادة بن الصامت ﷺ وصححه الألباني في صحيح أبي داود: ٤٧٠٠)

فالبعض منا يظن أن أول ما خلق الله تعالى؛ خلق القلم، وهذا الظن غير صحيح، والصحيح أن هناك مخلوقين عظيمين قبل خلق القلم وهما: العرش والماء[١].

ودليل ذلك ما أخرجه الْبُخَارِيُّ من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: كُنَّا عندَ رسولِ اللهِ ﷺ، فجاءَه نَفَرٌ من أهْلِ اليَمَنِ، فقالوا: أتَيْناكَ يا رسولَ اللهِ لنتفقَّهَ في الدِّينِ، ونَسألَكَ عن أوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ، كيف كان؟ فقال: كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ–وَفِي رِوَايَةٍ: غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ".

وَأخرج الإمام مُسْلِمٍ من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ–رضي الله عنهما– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ".

ومما يدل أيضًا على أن خلق العرش والماء كانا قبل خلق القلم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (هود:٧)

قال القرطبي–رحمه الله– في تفسيره: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ بين سبحانه أن خلق العرش والماء كان قبل خلق الأرض والسماء.

وقال النووي–رحمه الله– في" شرحه على مسلم:١٦/٢٠٣": ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ أي قبل خلق السموات والأرض ".

- وخلق الماء قبل خلق السموات والأرض يدل دلالة واضحة على أهمية الماء وأنه أصل الحياة. ومنه خلق كل شيء. ***كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ قال:*** قلتُ: يا رسولَ اللهِ! إنِّي إذا رأيتُك طابَتْ نَفسي وقرَّتْ عَيني[٢]، فأَنبِئْني عن كُلِّ شَيءٍ[٣]. فقال: كُلُّ شَيءٍ خُلِقَ مِن ماءٍ ". (صححه شعيب الأرناؤوط في المسند: ٧٩٣٢)

١- ذكر أهل العلم أن أول ما خلق الله تعالى الماء، والعرش، ثم القلم واللوح المحفوظ، ثم السماوات والأرض، واختلف في العرش، والماء أيهما خلق أولًا، فقيل؛ إن العرش خلق أولًا، وهذا رجحه ابن تيمية، وابن القيم، وقيل: إن الماء هو الأول، ورجحه بدر الدين العيني، فقد قال في عمدة القاري، شرح صحيح البخاري: وفي قوله: وكان عرشه على الماء، دلالة على أن الماء، والعرش كانا مبدأ هذا العالم؛ لكونهما خلقا قبل خلق السماوات والأرض، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء. فإن قلت: إذا كان العرش والماء مخلوقين أولًا، فأيهما سابق في الخلق؟ قلت: الماء؛ لما روى أحمد، والترمذي مصححًا من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعًا: إن الماء خلق قبل العرش، وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعددة: أن الله تعالى لم يخلق شيئًا مما خلق، قبل الماء. اهـ.

- وفي تفسير ابن رجب الحنبلي: قوله تعالى: (وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملًا)، وقوله ﷺلأبي هريرة ﷺ لما سأله: مم خلق الخلق؟ فقال له: "من الماء". يدل على أن الماء أصل جميع المخلوقات، ومادتها، وجميع المخلوقات خلقت منه. وفي المسند من وجه آخر، عن أبي هريرة ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، إذا رأيتك طابت نفسي، وقرت عيني، فأنبئني عن كل شيء. فقال:" كل شيء خلق من ماء". وقد حكى ابن جرير، وغيره، عن ابن مسعود ﷺ، وطائفة من السلف: أن أول المخلوقات الماء.

٢- قَرَّتْ عَينِي: معناها: بَرَدتْ، وانقَطَعَ بُكاؤُها، واستِحرارُها بالدَّمعِ، وقيل: مِنَ القَرارِ، أي: رأتْ ما كانت مُتشوِّفةً إليه، وقيل: أقَرَّ اللهُ عَينَكَ، أي: بلَّغَكَ أُمنيَّتَكَ حتى تَرضَى نَفْسُكَ، وتَسكُنَ عَينُكَ، فلا تَستَشرِفَ إلى غَيرِها.

٣- فأنبِئْني عن كُلِّ شَيءٍ: أي أخبِرْني عن أصلِ المَخلوقاتِ.

أهمية الماء

والماء له أهمية عظيمة لأنه حيثما وجد الماء وجدت الحياة.

ولما كان الماء أصل وجود الكائنات وأنه السبيل الوحيد لبقاء المخلوقات جميعها على وجه الأرض، تجد أن أصل الحياة نشأ على ضفاف الأنهار، ومنابع الآبار والعيون، كالحضارة المصرية القديمة على ضفاف النيل، وحضارة بلاد الرافدين بين دجلة والفرات، وحضارة السند حيث توجد الموارد المائية وتتوافر عناصر الحياة للإنسان والحيوان والنبات فبدون الماء لا تقوم الحياة لأى كائن حي على ظهر الأرض، فحيثما وجد الماء وجدت الحياة.

ويدل على هذا ما أخرجه البخاري من حديث طويل عن ابن عباس-رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ وفيه: " أن إبْرَاهِيم خرج بزوجته هاجر ومعها رضيعها إسماعيل إلى صحراء مكة، وليسَ بمَكَّةَ يَومَئذٍ أَحَدٌ، وليسَ بها مَاءٌ، فَوَضَعَهُما هُنَالِكَ، ووَضَعَ عِنْدَهُما جِرَابًا[1] فيه تَمْرٌ، وسِقَاءً فيه مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إسْمَاعِيلَ فَقالَتْ: يا إبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وتَتْرُكُنَا بهذا الوَادِي الَّذي ليسَ فيه إنْسٌ ولَا شَيءٌ؟ فَقالَتْ له ذلكَ مِرَارًا، وجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إلَيْهَا، فَقالَتْ له: آللَّهُ الَّذي أَمَرَكَ بهذا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَتْ: إذَنْ لا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ... وجَعَلَتْ أُمُّ إسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إسْمَاعِيلَ وتَشْرَبُ مِن ذلكَ المَاءِ، حتَّى إذَا نَفِدَ ما في السِّقَاءِ عَطِشَتْ وعَطِشَ ابنُهَا، وجَعَلَتْ تَنْظُرُ إلَيْهِ يَتَلَوَّى، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ في الأرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عليه، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِيَ تَنْظُرُ: هلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حتَّى إذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإنْسَانِ المَجْهُودِ حتَّى جَاوَزَتِ الوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا ونَظَرَتْ: هلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذلكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ- قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: فَذلكَ سَعْيُ النَّاسِ بيْنَهُما- فَلَمَّا أَشْرَفَتْ علَى المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقالَتْ: صَهٍ -تُرِيدُ نَفْسَهَا-، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقالَتْ: قدْ أَسْمَعْتَ إنْ كانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هي بالمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بعَقِبِهِ -أَوْ قالَ: بجَنَاحِهِ- حتَّى ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وتَقُولُ بيَدِهَا هَكَذَا، وجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ في سِقَائِهَا وهو يَفُورُ بَعْدَ ما تَغْرِفُ. قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إسْمَاعِيلَ، لو تَرَكَتْ زَمْزَمَ -أَوْ قالَ: لو لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ- لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا. قالَ: فَشَرِبَتْ وأَرْضَعَتْ ولَدَهَا، فَقالَ لَهَا المَلَكُ: لا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ؛ فإنَّ هَاهُنَا بَيْتَ اللَّهِ، يَبْنِي هذا الغُلَامُ وأَبُوهُ، وإنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَهْلَهُ،... فَكَانَتْ كَذلكَ حتَّى مَرَّتْ بهِمْ رُفْقَةٌ مِن جُرْهُمَ، فَنَزَلُوا في أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا[2]، فَقالوا: إنَّ هذا الطَّائِرَ لَيَدُورُ علَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بهذا الوَادِي وما فيه مَاءٌ، فأرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بالمَاءِ، فَرَجَعُوا فأخْبَرُوهُمْ بالمَاءِ، فأقْبَلُوا، قالَ: وأُمُّ إسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ، فَقالوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فَقالَتْ: نَعَمْ، ولَكِنْ لا حَقَّ لَكُمْ في المَاءِ، قالوا: نَعَمْ، قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: فَألْفَى ذلكَ أُمَّ إسْمَاعِيلَ وهي تُحِبُّ الإنْسَ، فَنَزَلُوا وأَرْسَلُوا إلى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا معهُمْ،...". الحديث

١- جِرابًا: وهو وِعاءٌ مَصنوعٌ مِن جِلدٍ- فيه بَعضُ التَّمْرِ وسِقاءَ ماءٍ

٢- عائفًا: أي يَتَرَدَّدُ على الماءِ ويَحُومُ.

والإنسان قد يستغني عن الطعام لكن لا يستطيع أن يستغني عن الماء.

فقد أخرج البخاري عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: ابْنَ أُخْتِي! إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلى الهِلَالِ، ثُمَّ الهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ؛ وما أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ، فَقُلتُ: يا خَالَةُ، ما كانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ والمَاءُ، إِلَّا أَنَّه قدْ كانَ لِرَسولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، كَانَتْ لهمْ مَنَائِحُ، وكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ مِن أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا ".

وأخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر ﷺ في خبر إسلامه، وفيه أن النبي ﷺ قال لأبي ذر ﷺ: " مَتَى كُنْتَ هَا هُنَا؟" قَالَ: قُلْتُ: قَدْ كُنْتُ هَا هُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ، بين لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ. قَالَ ﷺ:" فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟" قَالَ: قُلْتُ: مَا كَانَ لِيَ طَعَامٌ إِلاَّ مَاءُ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حتى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي[1]، وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ[2]. قال ﷺ:" إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ...."*. الحديث*

صور من رحمة الله بنا بالنسبة للماء:

١- أنَّ جعل اللهَ الماء ليسَ لهُ لونٌ ولا طعمٌ ولا رائحةٌ!! فلو كانَ للماءِ لونٌ لتشكلتْ كلُّ ألوانِ الكائناتِ الحيةِ بلونِ الماءِ الذي يُشكلُ معظمَ مكوناتِ الأحياءِ، ولو كان للماءِ طعمٌ لأصبحتْ كلُّ المأكولاتِ بطعمٍ واحدٍ وهو طعمُ الماءِ، فكيفَ يُستساغُ أكلُهَا؟! **وقد قال تعالى:** ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد: ٤)، ولو كانَ للماءِ رائحةٌ لأصبحتْ كلُّ المأكولاتِ برائحةٍ واحدةٍ فكيفَ يُستساغُ أكلُهَا؟! لكنْ حكمةَ اللهِ في الخلقِ اقتضتْ أنْ يكونَ الماءُ الذى نشربُهُ ونسقِى بهِ الحيوانَ والنباتَ ماءً عذبًا أي بلا لونٍ ولا طعمٍ ولا رائحةٍ. فسبحانك من إلهٍ عظيم كريم رحيم.

٢- ومن رحمة الله بنا أن جعل لنا في الوجه أربعة أنواع من الماء، ماء في العين، وماء في الأذن، وماء في الأنف، وماء في الفم. فماء العين(الدموع): مالح حتى لا تتعفن فهي قطعة لحم معرضة للهواء، وماء الأنف: حامض لازج، لتتعلق به الأتربة، وماء الأذن: ثخين مر في غايةِ المرارةِ، حتي لا تدخل أي حشرة في هذا الجزء المفتوح دائمًا، وماء الفم: عذبٌ حلو، ليُدرَكَ طعمُ الأشياءِ على ما هي عليهِ، ويعمل على تلين الطعام وبلعه دون مشقة. ولا يختلط ماءٌ بماءٍ، ولو وضع ماءٌ مكان ماء لتكدرت على الإنسان حياته، وما استطاع أنْ يعيش، فسبحان الخالق الرحيم الكريم.

١ـ تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي: عُكَن: جمع عُكْنَة، وهو ما انطوى وتَثَنَّى من لحم البطن سِمَنًا، ومعنى تكسَّرت: أي: انثنت وانطوت طاقات لحمِ بطنِه.
٢ـ سُخْفَةَ جُوعٍ: بفتح السِّين وضمِّها، وهي: رقَّة الجوع وضعفُه وهُزَالُه.

٣- ومن رحمة الله بنا أن جعل هذا الماء مستساغًا، ولم يجعله ملحًا أجاجًا.

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ(٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ(٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ (الواقعة:٦٨-٧٠)

لو نشاء جعلنا هذا الماء شديد الملوحة، لا يُنتفع به في شرب ولا زرع، فهلا تشكرون ربكم على إنزال الماء العذب لنفعكم.

وكانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا أكَلَ أو شربَ قالَ: الحمدُ للَّهِ الَّذي أطعمَ، وسَقى، وسوَّغَهُ[١] وجعلَ لَه مخرجًا[٢]". (أخرجه أبو داود والنسائي في" السنن الكبرى" عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ)(وهو في صحيح أبي داود: ٣٨٥١)

وكان بعض السلف إذا شرب الماء قال: " الحمد لله الذي سقانا عذبا فراتا برحمته، ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا ".

٤- ومن رحمة الله بنا أن جعل هذا الماء جندًا من جنوده، يرحم به من يشاء، ويعذب به من يشاء:

- فقد رحم الله تعالى بالماء نوحًا-عليه السلام-، ونجَّاه ومن آمن به على ظهر السفينة.

قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ (القمر:١١،١٢)

- وحَمَلَ الماءُ سيدنا موسى-عليه السلام- الرضيعَ، وهو في التابوت، **قال تعالى:** ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ (طه: ٣٩)

- ورحم الله تعالى بالماء أيضًا قوم موسى-عليه السلام- لما استسقوه، قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ (البقرة: ٦٠)

- ونصر الله تعالى بالماء سيدنا محمدًا ﷺ وصحبه الكِرام يوم بَدْر، وثبتهم وربط على قلوبهم، وطهرهم ظاهرًا وباطنًا، قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: ١١)

- وعذَّب الله تعالى بالماء أقوامًا، فأغرق بالماء قوم نوح لما كفروا وخالفوا أمره.

وأغرق به فرعون وجنده، **قال تعالى:** ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء: ٦٣)

- وأغرق قوم سبأ بالسيل العَرِم، **قال تعالى:** ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ (سبأ: ١٦)

١- وسوَّغه: أي سهَّل دخولَه إلى الجسم، وجعَل له مَذاقًا في الفَم ونفعًا للجسم.

٢- وجعَل له مَخرَجًا: أي جعَل له السَّبيلَيْن لخروج البَوْل والغائط والتَّخلُّص بذلك من مَضارِّ هذا الطَّعام وما زاد منه على حاجة الجسم.

فضل سقيا الماء:

١- مُلْك الدنيا كله لا يساوي شربة ماء:

دخل ابنُ السَّمَّاك على الخليفة هارون الرشيد، فاستدعى هارون الرشيد ماءً في كوز ليشرب، قال ابنُ السماك:" أسألك بالله ألاَّ تشرب حتى أسألك، قال: سل، قال: بالله لو منعوك هذه الشربة، أكنت مفتديها بنصف ملكك؟ قال: إي والله- وإلا فماذا يفيد الإنسان أن يموت وملكه وراءه- فشرب، قال: أسألك بالله لو مُنعْتَ إخراج هذه الشربة، أتخرجها بنصف ملكك؟ قال: إي والله، قال: لا خير في ملك لا يساوي شربة ماء وإخراجها ". (إحياء علوم الدين)

٢- الماء من أفضل الصدقات:

- ***فقد أخرج البيهقي في" شعب الإيمان" عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:*** **" ليس صدقةٌ أعْظَم أجْرًا من مَاءٍ ".** (صحيح الترغيب والترهيب:٩٦٠)

- ***وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث سعد بن عبادة ﷺ قال:*** **قلت: يا رسول الله! إن أمي ماتتْ أفأتصدقُ عنها؟ قال:" نعم"، قلت: فأيُّ الصدقةِ أفضل؟ قال:" سقي الماء[١]".**

(صحيح الجامع: ١١١٣)

وقال ابن عباس-رضي الله عنهما-: حين سُئل عن أفضل الصَّدَقة، قال: الماء:" ألم تروا إلى أهل النار حين استغاثوا بأهل الجنة: ﴿أن أفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّه﴾

قال الإمام القرطبي-رحمه الله- تعقيبًا على الآية السابقة:" فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ سَقْيَ الْمَاءِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ التَّابِعِينَ: مَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، فَعَلَيْهِ بِسَقْيِ الْمَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَ الَّذِي سَقَى الْكَلْبَ، فَكَيْفَ بِمَنْ سَقَى رَجُلًا مُؤْمِنًا مُوَحِّدًا وَأَحْيَاهُ ". (الجامع لأحكام القرآن)

٣- من سقى مسلمًا على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيقِ المختوم:

فقد أخرج الإمام أحمدُ وأبو داودَ والترمذي من حديث أبي سعيدٍ الخُدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"... وأيُّما مسلمٍ سقى مسلمًا على ظمأٍ، سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيقِ المختوم".

٤- حتى سُقيا البهائم فيها أجر:

- ***فقد أخرج ابن خزيمة وابن ماجه من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" من حفَرَ بئرَ ماءٍ لم يشرب منه كَبِدٌ حرَّى[٢] من جِنٍّ، ولا إنسٍ، ولا طائرٍ، إلا آجره اللهُ يوم القيامة...".**

(صحيح الترغيب والترهيب:٢٧١)

١- سقيا الماء من أفضل الصدقات في حال ما أذا كان الناس أو المكان في حاجة إلى الماء، لكن إذا كان الماء متوفر بكثرة، فلا يعد في هذه الحالة أفضل الصدقات، فأفضل الصدقات تكون بحسب حاجة الناس إليها، كما سيأتي عندما يُسأل النبي ﷺ عن أفضل الصدقة، فتختلف الإجابة بحسب حاجة الناس. والله أعلم.

٢ - كبد حَرَّى: قال ابن الأثير-رحمه الله-: يريد أنها لشدة حَرِّها قد عطِشَتْ ويبست من العطش، والمعنى: أن في سَقي كل ذي كبد حَرَّى أجْرًا. وقيل: أراد بالكبد الحَرَّى حياة صاحبها لأنه إنما تكون كِبدُه حَرَّى إذا كان فيه حياة، يعني في سقْي كل ذي روح من الحيوان. اهـ

- *وأخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما -:* أن رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أنزعُ في حوضي حتى إذا ملأته لإبلي ورد عليّ البعيرُ لغيري فسقيتهُ فهل في ذلك من أجر؟ فقال رسول الله ﷺ: "في كل ذات كَبِدٍ حَرَّي أجر". (صحيح الترغيب والترهيب:٩٥٦)

- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ: قال: قال رسول الله ﷺ:* " بينما رجلٌ يمشي بطريق أشتد عليه الحَرُّ فوجد بئرًا، فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهثُ[١] يأكل الثرى من العطش، فقال الرجُل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان مني، فنزل البئر فملأ خُفَّه ماءً، ثم أمسكهُ بفيه حتى رَقي فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر لهُ". قالوا: يا رسول الله! إن لنا في البهائم أجرًا؟ قال:" في كل كبد رَطْبَةٍ أجْرٌ" *وفي لفظ للبخاري:* " فشكر الله له فأدخله الجنة ".

وأخرج البخاريُّ ومسلم من حديث أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " بينما كلبٌ يُطيفُ[٢] بِرَكيَّةٍ[٣] كاد يقتلهُ العطشُ، إذ رأته بَغيٌ من بغايا بني إسرائيلَ فنزعتْ مُوقها[٤] فاستقت له به فغُفر لها ".

٥- الماء أصل كل خير:

لما أراد النبي أن يضرب مثالًا بما بعثه الله به من الحق، لم يجد مثالًا يضربه إلا بالماء، لأنه أصل كل خير، ونفعه عميم، وخيره كثير. *فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " إنَّ مَثَلَ ما آتاني اللهُ مِن الهدى والعِلْمِ كمثَلِ غيثٍ أصاب أرضًا فكانت منها طائفةٌ طيِّبةٌ قبِلت ذلك فأنبتَتِ الكلأَ والعُشبَ الكثيرَ وأمسَكتِ الماءَ فنفَع اللهُ بها النَّاسَ فشرِبوا منها وسَقوا وزرَعوا...". الحديث

٦- سقيا الماء من الصدقة الجارية التي تلحق العبد بعد موته:

- *وأخرج ابنُ ماجه وابنُ خزيمةَ من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " إنَّ مما يلحقُ المؤمنَ من عمله وحسناته، بعد موته، علمًا علمه ونشره، وولدًا صالحًا تركهُ، أو مصحفًا وَرَّثَهُ، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه - وفي رواية: أو نهرًا كَرَاه[٥]-، وصدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه من بعد موته ". (صحيح الجامع: ٢٢٣١)

وأخرج البزار وابن خزيمة وأبو نعيم في الحلية عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " سَبعٌ يجري للعبد أجرُهنَّ، وهو في قبره بعد موته: من علم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورَّثَ مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته ". (صحيح الجامع: ٣٦٠٢)

١- يلهث: يعني أخرج لسانه عطشًا، أو تعبًا، أو إعياءً. (القاموس المحيط ص:١٧٦).
٢ - يطيف: يدور حوله.
٣ - رَكيَّة: البئر.
٤ - الموق: الخف- كما جاء مفسرًا في رواية أخرى.
٥- كراه: يعني حفره.

٧- سقيا الماء سبيل لدخول الجنة:

أخرج الإمامُ أحمدُ وابنُ حبان والبيهقي عن البراء بن عازب ﷺ قال: جاء أعرابيٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! علمني عملًا يدخلُني الجنة، قال ﷺ:" إن كُنتَ اقصرت الخُطبة، لقد أعرضتَ المسألة؛ أعتق النسمة، وفكَّ الرقبة، فإن لم تُطِقْ، فأطعم الجائعَ، واسْقِ الظمآن، وأمر بالمعروف، وانْهَ عن المنكر، فإن لم تُطق ذلك، فَكُفَّ لسانَكَ إلَّا عَنْ خَيْرٍ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٨٥٣)

وأخرج البغوي من طريق بشر بن بشير الأسلمي عن أبيه قال:" لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة، وكان يبيع منها القربة بمُدّ، فقال له النبي ﷺ: تبيعنيها بعين في الجنة؟ فقال: يا رسول الله! ليس لي ولا لعيالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان ﷺ فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ قال: نعم، قال: قد جعلتُها للمسلمين ".

٨- الماء من أول النعم التي سنسأل عنها يوم القيامة:

فقد أخرج الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:" خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ:" مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ"؟ قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:" وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا قُومُوا"، فَقَامُوا مَعَهُ فَأَتَى رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أَيْنَ فُلَانٌ"؟ قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنْ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ"، فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنْ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ ".

– وفي لفظ الترمذي:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مِنْ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ظِلٌّ بَارِدٌ وَرُطَبٌ طَيِّبٌ وَمَاءٌ بَارِدٌ ".

وأخرج الترمذي وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ – يَعْنِي الْعَبْدَ مِنْ النَّعِيمِ– أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ وَنُرْوِيَكَ مِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ ". (صحيح الترمذي: ٣٣٥٨) (صحيح الجامع: ٢٠٢٢) (صحيح الترغيب والترهيب:٣٢٢٣)

الترهيب ممن منع الماء عن المحتاجين:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:

" عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ في هِرَّةٍ سَجَنَتْها حتَّى ماتَتْ، فَدَخَلَتْ فيها النَّارَ، لا هي أطْعَمَتْها ولا سَقَتْها، إذْ حَبَسَتْها، ولا هي تَرَكَتْها تَأْكُلُ مِن خَشاشِ الأرْضِ ".

- **وإذا كان منع الطعام والشراب عن الحيوان سبيل لدخول النار، فكيف بمن منعه عمن وحَّدَ العزيز الغفار؟**

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ثَلَاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يومَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ:** وذكر منهم... **وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ، فيَقولُ اللَّهُ: اليومَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كما مَنَعْتَ فَضْلَ ما لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ.**

وأخيراً فلنحافظ على هذه النعمة:

فالماء كما مر بنا نعمة من نعم الله علينا، فلنحافظ عليها وذلك عن طريق:

١ – عدم تلويث مصادر المياه:

فالمُسلمُ مَأمورٌ بالحِفاظِ على كلِّ أنواعِ المياه الجاري والرَّاكِدِ، وتَتأكَّدُ المُحافَظةُ على الماءِ الرَّاكِدِ؛ لأنَّه غيرُ مُتجدِّدٍ، وهو قابلٌ للتَّغيُّرِ والإفسادِ إذا ما أُلقيَ فيه شَيءٌ من القاذوراتِ والمخلفاتِ، فضلًا أن يَكُونَ ما يُلقى فيه نَجاسةً، كبَولٍ ونحوِه.

فقد أخرج الإمام مسلم عن جابر ﷺ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ **أنَّه نَهى أنْ يُبالَ في الماءِ الرَّاكِدِ ".**

– ***وفي رواية:*** **" لا يَبُولَنَّ أحَدُكُمْ في المَاءِ الدَّائِمِ الذي لا يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ ".**

(رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ)

يقول الدكتور الحسيني هاشم معلقا على هذا الحديث: " فيه النهى عن البول في الماء الدائم الذى لا يجرى وهو نهي يشتمل على كثير من الفوائد فضلا عن رعاية الذوق والشعور العام وفيه وقاية من انتقال الأمراض وانتشار الأوبئة والسقام ". **(شرح رياض الصالحين للدكتور الحسيني هاشم)**

٢ – عدم الإسراف في الماء:

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١)

أي وكلوا واشربوا من طيبات ما رزقكم الله، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في ذلك. إن الله لا يحب المتجاوزين المسرفين في الطعام والشراب وغير ذلك.

وأخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: " أنَّ رجلًا أتى النَّبيَّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ! كيفَ الطُّهورُ؟ فدعا بماءٍ في إناءٍ فغسلَ كفَّيهِ ثلاثًا، ثمَّ غسلَ وجهَه ثلاثًا، ثمَّ غسلَ ذراعيهِ ثلاثًا، ثمَّ مسحَ برأسِه، فأدخلَ إصبعيهِ السَّبَّاحتينِ في أُذُنيهِ، ومسحَ بإبهاميهِ علَى ظاهرِ أذنيهِ، وبالسَّبَّاحتينِ باطنَ أذنيهِ، ثمَّ غسلَ رجليهِ ثلاثًا ثلاثًا، ثمَّ قالَ:" هَكذا الوضوءُ، فمن زادَ علَى هذا أو نقُصَ[1] فقد أساءَ وظلمَ، أو ظلمَ وأساءَ ".

(صحيح أبي داود:١٣٥، دون قوله: "أو نقص" فإنه شاذ)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: كانَ النبيُّ ﷺ يَغْسِلُ، أوْ كانَ يَغْتَسِلُ، بالصَّاعِ[2] إلى خَمْسَةِ أمْدَادٍ، ويَتَوَضَّأُ بالمُدِّ[3] ".

وهذا إخبارٌ عن القَدْرِ الذى كان يَكْفِيهِ ﷺ، لا أنَّه لا يَجوزُ ما زادَ على ذلك، وإنَّما يَختلِفُ الناسُ في ذلك؛ فمِن الناسِ مَن لا يَستطيعُ تَحقيقَ الوضوءِ والغُسلِ على وجْهِه إلَّا بأكثرَ مِن ذلك، ولكنْ يَنبغي على كلِّ حالٍ عدَمُ الإسرافِ في الماء.

وأخرج ابن ماجه والبيهقي في" شعب الإيمان" من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-قال: أنَّ النَّبيَّ ﷺ مرَّ بسَعدٍ وَهوَ يتوضَّأُ، فقالَ: ما هذا السَّرَفُ يا سَعدُ؟ قالَ: أفي الوضوءِ سَرفٌ قالَ: نعَم، وإن كنتَ على نَهْرٍ جارٍ ".

وأخرج أبو داود عن عبدَ اللَّهِ بنَ مُغفَّلٍ ﷺ أنه سمعَ ابنَهُ يقولُ: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ القصرَ الأبيضَ، عن يمينِ الجنَّةِ إذا دخلتُها، فقالَ: أي بُنَيَّ، سلِ اللَّهَ الجنَّةَ، وتعوَّذ بِهِ منَ النَّارِ، فإنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: إنَّهُ سيَكونُ في هذِهِ الأمَّةِ قومٌ يَعتدونَ في الطَّهورِ والدُّعاءِ ". (صحيح أبي داود: ٩٦)

١ـ ذهَبَ جَماعةٌ من العُلماءِ إلى تَضعيفِ زِيادةِ "أو نقَصَ" وعدُّوه مِن جُملةِ ما أُنكِر على عَمرِو بنِ شُعيبٍ؛ لأنَّ ظاهِرَه ذمُّ النَّقصِ عَن الثَّلاثةِ، والنَّقصُ عن الثَّلاثةِ جائزٌ؛ فقد فَعَلَه النَّبيُّ ﷺ؛ فكيف يُعبَّرُ عنه بـ"أساء"؟ فقيل: إنْ لم يكُنِ اللَّفظُ شَكًّا مِن الرَّاوي، فهو مِن الأوهامِ البيِّنةِ الَّتي لا خَفاءَ لها؛ إذِ الوُضوءُ مرَّةً ومرَّتَيْنِ لا خِلافَ في جَوازِه، والآثارُ في ذلك صَحيحةٌ. وقيل في قولِه: "أو نَقَصَ": هناك حَذفٌ، تَقديرُه: مَن نقَصَ شيئًا مِنَ الغَسْلةِ الواحدةِ؛ بأن ترك لُمْعةً في الوُضوءِ مرَّةً، فقد أساءَ، ويُؤيِّدُه ما رَواه نُعَيْمُ بنُ حمَّادِ بنِ مُعاويةَ مِن طريقِ المُطَّلِبِ بنِ حَنْطَبٍ مَرفوعًا: "الوُضوءُ مرةً مرَّةً، وثلاثًا، فإن نقَصَ مِن واحدةٍ، أو زاد على ثلاثةٍ، فقد أخطأَ".

٢ـ الصَّاعُ كَيلٌ يَسَعُ أربعةَ أمْدادٍ، أو ثَمانيةَ أرْطالٍ، والرِّطْلُ بالمقاديرِ الحديثةِ؛ قيل: إنَّه حَوالَي ٣٨٠ جرامًا، أي: أقلَّ مِن نِصفِ لِترٍ، وقيل: إنَّه يَزِنُ ٥٣٨ جرامًا، أي: أكثرَ مِن نِصفِ لِترٍ قليلًا

٣ـ المُدُّ يَعدِلُ رُبُعَ الصَّاعِ، وقيل: مِقدارُه رِطْلٌ وثُلُثٌ، وقيل: رِطْلانِ، وهو مِقْدارُ ما يَمْلَأُ الكفَّينِ.

٣- وهناك أمر آخر قَلَّ من يتنبه له، وهو من أعظم الأسباب للمحافظة على الماء والزيادة منه وهو: طاعة الله عز وجل والبعد عن معصيته:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " ذكر الله تعالى أن أهل القرى لو آمنوا بقلوبهم إيمانا صادقا صدقته الأعمال، واستعملوا تقوى اللّه تعالى ظاهرا وباطنا بترك جميع ما حرم اللّه، لفتح عليهم بركات السماء والأرض، فأرسل السماء عليهم مدرارا، وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون وتعيش بهائمهم، في أخصب عيش وأغزر رزق، من غير عناء ولا تعب، ولا كد ولا نصب ". اهـ

وقال تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ (سورة الجن: ١٦)

قال البغوي-رحمه الله- في تفسيره: وقوله: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ اختلفوا في تأويلها فقال قوم: لو استقاموا على طريقة الحق والإيمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ أي كثيرًا، قال مقاتل: وذلك بعدما رفع عنهم المطر سبع سنين. وقيل: معناه لو آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا وأعطيناهم مالًا كثيرًا وعيشًا رغدًا، وضرب الماء الغدق مثلا لأن الخير والرزق كله في المطر، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ (المائدة: ٦٦)

وكما مر بنا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " بَيْنا رَجُلٌ بفَلاةٍ مِنَ الأرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا في سَحابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذلكَ السَّحابُ، فأفْرَغَ ماءَهُ في حَرَّةٍ[١]، فإذا شَرْجَةٌ[٢] مِن تِلكَ الشِّراجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذلكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الماءَ، فإذا رَجُلٌ قائِمٌ في حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بمِسْحاتِهِ[٣]، فقالَ له: يا عَبْدَ اللهِ، ما اسْمُكَ؟ قالَ: فُلانٌ، لِلِاسْمِ الذي سَمِعَ في السَّحابَةِ، فقالَ له: يا عَبْدَ اللهِ، لِمَ تَسْألُنِي عَنِ اسْمِي؟ فقالَ: إنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا في السَّحابِ -الَّذي هذا ماؤُهُ- يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، لِاسْمِكَ، فَما تَصْنَعُ فيها؟ قالَ: أمَّا إذْ قُلْتَ هذا، فإنِّي أنْظُرُ إلى ما يَخْرُجُ مِنْها، فأتَصَدَّقُ بثُلُثِهِ، وآكُلُ أنا وعِيالِي ثُلُثًا، وأَرُدُّ فيها ثُلُثَهُ ".

١- في حَرَّةٍ، وهي أَرْضٌ فيها حِجارةٌ سَوداءُ كأنَّها أُحْرِقَتْ بالنَّارِ.
٢- الشَّرْجَةُ: أي: فَتْحة مِن فُتَحاتِ مَسايِلِ الماءِ.
٣- المسحاة: ما سحى بها الطين، وهي أداة من أدوات الزراعة.

وكثرة الاستغفار سبب لإدرار المطر وكثرة المياه.

قال تعالى حكاية عن نوح-عليه السلام-: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (سورة نوح: ١٠- ١٢)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره: ٨/ ٢٦٠" معلقًا على هذه الآيات من سورة نوح: " أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدَرَّ لكم الضَّرْعَ، وأمدكم بأموال وبنين؛ أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها ". اهـ

- **والمعاصِي والذنوبُ وارتكابُ المحرماتِ سبب في حجبِ النعمِ والبركاتِ عامةً، وفي نعمةِ الماءِ خاصةً.**

فقد أخرج ابن ماجه والطبراني في" الأوسط" عن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" يا مَعْشَرَ المهاجرينَ! خِصالٌ خَمْسٌ إذا ابتُلِيتُمْ بهِنَّ، وأعوذُ باللهِ أن تُدْرِكُوهُنَّ:... ولم يَمْنَعُوا زكاةَ أموالِهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماءِ، ولولا البهائمُ لم يُمْطَرُوا[1]...".** (صحيح الجامع: ٧٩٧٨)

وكان الحسنُ البصريُّ-رحمه اللهُ- إذا رأى السحابَ قال: في هذه واللهِ رزقُكم[2]، ولكنكُم تحرمونَهُ بخطاياكُم وذنوبِكُم ".

وقال مجاهدٌ-رحمه اللهُ-: " إنَّ البهائمَ تلعنُ عصاةَ بنِي آدمَ إذا اشتدتْ السَنَةُ – أي: القحطُ – وأُمسكَ المطرُ، وتقولُ: هذا بشؤمِ معصيةِ ابنِ آدمَ ".

وقال عكرمةُ-رحمه اللهُ-: " دوابُّ الأرضِ وهوامُهَا، يقولون: مُنعنَا القطرَ بذنوبِ بني آدمَ ".

(الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم)

١- ولولا البَهائِمُ لم يُمطَروا: أي ولولا وُجودُ البهائِمِ ما نَزَلَ عليهم المَطَرُ من السَّماءِ؛ لأنَّهم لا يستَحِقونَه، وهذا دليلٌ على شِدَّةِ غَضَبِ اللهِ عليهم؛ لأنَّه ما رَزَقَهم إلَّا من أجلِ البهائِمِ، وكأنَّ البهائِمَ تكونُ عندَ اللهِ أفضَلَ منهم، إذا فعَلوا هذه الأعمالَ.

٢- كما قال تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} (الذاريات:٢٢)، فالرزقُ: المطرُ، وما توعدونَ بهِ: الجنةُ، وكلاهُمَا في السماءِ.

- **فالمعاصي سبب لعدم نزول المطر من السماء:**

وقد ذكر ابن قدامة-رحمه الله- في كتابه التوَّابين: أن موسى-عليه السلام- خرج يومًا يستسقي، فلم ير في السماء قزعة [1] واشتدَّ الحرُّ، فقال موسى: يا رب، اللهم إنا نسألك الغيث فاسقنا، فقال الله جل وعلا: يا موسى، إن فيكم عبدًا يُبارزني بالذنوب أربعين عامًا، فصِحْ في القوم ونادِ إلى العباد: الذي بارز ربه بالذنوب والمعاصي أربعين عامًا أن اخرج، فقال موسى: يا رب! القوم كثير، والصوت ضعيف، فكيف يبلغهم النداء؟! فقال الله: يا موسى، قل أنت، وعلينا البلاغ، فنادى موسى بما استطاع، وبلغ الصوت جميع السامعين الحاضرين، فما كان من ذلك العبد العاصي الذي علم أنه المقصود بالخطاب، المرقوم في الكتاب أنه ينادي بعينه بين الخلائق، فلو خرج من بين الجموع، عرف وهتك ستره، وانفضحت سريرته وكشفت خبيئته، فما كان منه إلا أن أطرق برأسه، وأدخل رأسه في جيب درعه أو قميصه، وقال: يا رب، اللهم إني أتوب إليك فاسترني، اللهم إني أتوب إليك فاسترني، اللهم إني أتوب إليك فاسترني، فما لبث موسى ومن معه إلا أن أظلَّهم الغيم، وانفتحت السماء بمطر كأفواه القرب، فقال موسى: يا رب، سقيتنا وأغثتنا ولم يخرج منا أحد، فقال الله: يا موسى، إن من منعتكم السقيا به تاب، وسألني وأعطيته وسقيتكم بعده، فقال موسى: يا رب، أرني ذلك الرجل، فقال الله جل وعلا: يا موسى، سترته أربعين عامًا وهو يعصيني، أفأفضحه وقد تاب إلي وبين يدي؟!

(ضعيف والمعنى صحيح وله شواهد كثيرة من القرآن والسنة تشهد لمعناه)

١ـ قزعة: أي سحابة.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك